الإمام يوسف القرضاوي

المجتمع الإسلامي

التحديات وإمكانات النهوض

مكتبة وهبة
٤ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة
ت ٣٩١١٧٤٧٠ فاكس ٣٩٠٣٧٤٦

obeikandl.com

محاضرات الإمام يوسف القرضاوي
المجتمع الإسلامي
التحديات وامكانات النهوض
الإمام يوسف القرضاوي
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٦٤ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع : ٢٠١١/٨٣٦٥
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-225-304-6

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to The Auther And Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher And Auther.

دار الكتب والوثائق القومية
دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

القرضاوي، يوسف .
المجتمع الإسلامي، التحديات وإمكانات النهوض/ يوسف القرضاوي .
- القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠١١
٦٤ ص؛ ١٤ سم
تدمك ٦ ٢٠٤ ٢٢٥ ٩٧٧
١- الإسلام والمجتمع .

٢٠١٣٤ ، ٢٠١

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المجتمع الإسلامي وإمكانات النهوض[1]

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمدًا عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون ، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته ، واهتدى بسنته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

خير ما أحييكم به ـ أيها الأخوة والأخوات ـ تحية الإسلام ، وتحية الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأهنِّئكم بهذه الأيام المباركة من هذا الشهر الكريم شهر رمضان ، الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، وأن يتقبَّل فيه صيامنا وقيامنا وخالص أعمالنا ، ويغفر لنا ما فرَّطنا فيه .

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بشهر رمضان ، في نادي ضباط الشرطة بالإدارة العامة لشرطة أبوظبي ، ولقد ألقيت هذه المحاضرة ارتجالا .

obeikandl.com

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

(التحريم: ٨).

نحن في العشر الأواخر من رمضان ، بل في السبع الأواخر منه ، حيث تُلتمس ليلة القدر ، وهي خير من ألف شهر ، فعسى أن تكون ليلتنا هذه ـ أيها الأخوة ـ هي ليلة القدر ، فلنحتسب عند الله تبارك وتعالى جلوسنا هذا للتدارس ، لنحتسبه إحياءً لهذه الليلة ، فليس الإحياء بالصلاة والذكر والتسبيح فقط ، الإحياء يكون بتدارس العلم أيضا ، وقد كان جبريل ينزل على النبي ﷺ كلَّ عام في رمضان ، فيدارسه القرآن[1]، يتدارسان القرآن . فما أجمل أن نتدارس القرآن ، ونتدارس مفاهيم القرآن ، ومعاني القرآن في هذه الليلة المباركة .

أيها الأخوة نحن الآن أمام هذا العنوان : (المجتمع الإسلامي ، التحديات وإمكانات النهوض) ، كما حدَّده الأخوة في إدارة هذا النادي ، الذي نسأل الله أن يجعله ناديًا للخير ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، كما رواه أحمد (٢٦١٦) ، والنسائي في الصيام (٢٠٩٥)، عن ابن عباس .

حيث هناك نوادٍ للمنكر كثيرة ، نسأل الله أن يجعله ناديًا للعلم والهداية والمعروف والخير ، وقد افتتح موسمه بهذه المحاضرة في هذا الشهر الكريم ، دلالة على منهج سديد ، وعلى اتجاه رشيد ، نسأل الله أن يثبِّتهم عليه ، ويسدِّدهم فيه ، آمين .

اهتمام الإسلام بالمجتمع :

الإسلام دين اجتماعي ، دين مجتمع ، يهمُّه أن يقيم مجتمعا صالحا ، صحيح أنه يهتمُّ بتكوين الفرد وتربيته تربية متكاملة ، ولكنه لا يكتفي بتكوين الفرد حتى يُنشئ المجتمع ، ولهذا كانت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة سعيًا وراء مجتمع صالح ، مجتمع إسلامي تتجسَّد فيه قِيَم الإسلام وأحكامه ، فالمجتمع الإسلامي : هو الذي تكون عقائده إسلامية ، وشعائره إسلامية ، ومفاهيمه إسلامية ، وأخلاقه إسلامية ، وآدابه وتقاليده إسلامية ، وقوانينه وتشريعاته إسلامية .

مجتمع الدين والدنيا معا :

هذا هو المجتمع الإسلامي ، وهو الذي أقامه النبي ﷺ في المدينة ، مجتمع متكامل جمع بين الدين والدنيا ، جمع بين الروحية والمادية ، بين الواقعية والمثالية . ولهذا كان أول

مشروع أقامه النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة : المسجد الذي أُسِّس على تقوى من الله ورضوان ، المسجد[1] .

وثاني مشروع أسَّسه النبي عليه الصلاة والسلام : السوق ، تصوَّروا النبي عليه الصلاة والسلام ، أقام المسجد ، ثم أقام السوق[2] .

كان يهود بني قينقاع يسيطرون على السوق ، وكانت السوق تسمَّى باسمهم ، سوق بني قينفاع هي التي عمل فيها عبد الرحمن بن عوف أول ما ذهب وعرض عليه أخوه في الله سعد بن الربيع أن يشاطره داريه ويشاطره زوجتيه ، ويتنازل له عن نصف ماله أيضًا ، قال له : عندي زوجتان ، اختر إحداهما أطلِّقها لك ، فتستوفي عدَّتها وتتزوَّجها .

فقال له : بارك لك في دارك ، وبارك لك في مالك ، وبارك لك في أهلك . فقابل هذا الإيثار العظيم بتعففٍ كريم ، وقال له : إنما أنا امرؤ تاجر ، فدلَّني على السوق[3] .

---

(١) إشارة إلى حديث الهجرة الطويل الذي رواه البخاري في المناقب (٣٩٠٥ ، ٣٩٠٦) ، عن عائشة .

(٢) إشارة إلى ما رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٠٤/١) عن عطاء ابن يسار بلفظ : «لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بني قينقاع ، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال : «هذا سوقكم ، فلا يضيق ، ولا يؤخذ فيه خراج».

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٨) ، عن عبد الرحمن ابن عوف .

وذهب إلى السوق ، سوق بني قينقاع وتاجر حتى ربح ، وتزوَّج وجاء إلى النبي ﷺ وعليه رائحة الطيب وقال : تزوَّجت . قال : « هل أولمتَ ؟» . قال : لا . قال : « أولم ولو بشاة »[1] .

المهم قول عبد الرحمن : إنما أنا امرؤ تاجر ، فدلَّني على السوق ، كان سوق بني قينقاع ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام ، أراد أن يكون للمسلمين سوقهم ، فبنى لهم سوقًا ، وجعلها مقسَّمة ومنظَّمة ، هذه لباعة البقر ، وهذه لباعة الغنم ، وهذه لباعة الإبل ، وهذه لتجَّار الحبوب ، وهذه لتجار الخضروات ، وهذه . . وهذه . . وأعطى التجار نصائح ، وكان يخرج إلى السوق ما بين الحين والحين ينصح هؤلاء .

فهو مجتمع جمع بين الدين والدنيا معًا .

المجتمع الإسلامي مجتمع الإخاء :

مجتمع الإخاء ، آخى النبي عليه الصلاة والسلام فيه بين المهاجرين والأنصار ، الذين وفدوا من مكة وأصحاب البلاد الأصليين المدينة ، كان يمكن أن تقوم بينهم حساسيات ، هذا وافد وهذا مواطن ، هذا خارجي وهذا من أهل البلد . ولكن

---

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٩) ، وأحمد (١٢٩٧٦) ، عن أنس ابن مالك .

النبي عليه الصلاة والسلام أقام بينهم هذا الإخاء الذي رأينا صورة منه بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف .

وأسَّس هذا الإخاء أيضًا بين الأوس والخزرج ، الذين طالما تحاربوا في الجاهلية وسالت بينهم الدماء ، وامتدَّت بينهم الحروب ، وكان بينهم ثارات ، وآخى الله بينهم ، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الأنفال:٦٣) .

قام المجتمع على الأساس الرباني ، العبادة التي تتمثَّل في المسجد ، والإخاء الذي يتمثَّل في ربط القلوب بعضها ببعض ، والاقتصاد الذي يتمثَّل في سوق يسيطر عليها المسلمون ، والجهاد الذي أعدَّ الأمة لتدافع عن نفسها .

المجتمع المسلم مجتمع مجاهد :

كان مجتمع جهاد ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام غزا سبعًا وعشرين غزوة شارك فيه بنفسه ، وبعث نحو ستة وخمسين سرية[1] . في هذه المدَّة العشر سنوات ، كانت كلُّها

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٢/١٩٥) : قد اختلف أهل المغازي في عدد غزواته ﷺ وسراياه ، فذكر ابن سعد وغيره عددهن مفصلات على ترتيبهن ، فبلغت سبعًا وعشرين غزاة ، وستا وخمسين سرية . قالوا : قاتل في تسع من غزواته ، وهي : بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . هكذا عدوا الفتح فيها ، وهذا على قول من يقول : فتحت مكة عنوة .

جهادًا ،ما من بيتٍ إلا وقدَّم بعض الضحايا والشهداء في سبيل الله من بيوت المدينة .

وقد عقد النبي ﷺ بينه وبين الأقليات الأخرى معاهدات واتفاقيات للدفاع عن المدينة ، فقد كان اليهود بقبائلهم الثلاث بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير يسكنون في أطراف المدينة ، عقد معاهدة بينه وبينهم ، وكتب الصحيفة المشهورة ، التي تعتبر بمثابة دستور مكتوب يحدِّد العلاقات بين طوائف هذا المجتمع بعضها وبعض[1] .

أقام النبي عليه الصلاة والسلام مجتمعًا نموذجيًّا هو أساس المجتمع الإسلامي كلِّه على مدار التاريخ .

المسلم لا يعيش وحده :

الإسلام دين مجتمع ، لا يتصوَّر المسلم فردًا يعيش وحده ، المسلم يعيش في مجتمع ، ولذلك يغرس الإسلام في نفسه ، في عقله ، في قلبه ووجدانه هذا الشعور بالمجتمع ، فإنه إذا صلى وكان وحده في قعر بيته يتلو فاتحة الكتاب : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (الفاتحة:٥،٦)، لا يقول : إياك أعبد . ولا يقول : اهدني الصراط المستقيم . هو يتحدَّث بلسان الجماعة ، الجماعة تحيا في

---

(١) ابن هشام في السيرة (٣/٣١- ٣٥) .

obeikandl.com

ضميره ، وتتمثَّل على لسانه ، إذا ناجى ربه قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥)، لأن الجماعة حاضرة ويناجي الله باسمها ، وإذا دعا ربَّه لا يدعو لنفسه ، إنما يدعو لنفسه ولأمَّته وللجماعة كلِّها : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦) .

وإذا خاطب القرآن المسلمين لا يخاطبهم أفرادًا لا نجد في القرآن : (أيها المؤمن) . ولكن نجد فيه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (المائدة:١)، نداء جديد قرع سمع الجزيرة العربية لأول مرَّة بعد أن كان تنادي الناس بالفردية أو بالقبلية ، يا لفلان ، ويا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني مخزوم ، يا بني قريش ، يا بني تميم . هنا لم يعد النداء للفرد ولا للقبيلة ، وإنما النداء بهذا العنوان الجديد : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (المائدة:١).

هم مخاطبون بالتضامن بأحكام الله وتكاليفه ، أيًّا كانت هذه الأحكام والتكاليف ، بعضها يتعلَّق بالأحوال الشخصية كما نسمِّيها : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ ﴾(المائدة:١٠٦).

وبعضها يتعلَّق بالأحوال العبادية : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة:١٨٣).

وبعضها يتعلَّق بالتشريعات الجنائية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ (البقرة:١٧٨) .

وبعضها يتعلَّق بالتشريعات المدنية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ (البقرة:٢٨٢)، آية المداينة أطول آية في القرآن ، القرآن يخاطب الذين آمنوا بصفة الإيمان بهذه الصيغة الجماعية ، لأن المؤمنين باعتبارهم جماعة متضامنون في إقامة الدين ، وفي تحكيم شرع الله .

وفي تطبيق أحكام الله ، حتى الأحكام السياسية والجزائية بمثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا ﴾ (المائدة:٣٨)، خطاب للأمة ، وكذلك : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ (النور:٢)، مَن الذي يجلد؟ ومَن الذي يقطع؟ المفروض أن الحاكم هو الذي ينفِّذ . لماذا كان الخطاب للأمة؟ لأن الأمة كلَّها مسئولة عن الأحكام ، بحيث لو أن الحاكم قصَّر تكون الأمة مسؤولة معه ، الأمة مسؤولة بالتضامن عن هذه الأحكام كلِّها ، هذا هو المجتمع المسلم .

المجتمع الإسلامي مترابط متضامن :

الإسلام يقيم مجتمعًا متضامنًا ، مجتمعًا مترابطًا ترابطًا عضويًّا ، صوَّره النبي ﷺ ، تصويرات شتَّى ، قال : « المؤمن

للمؤمن كالبنيان ، يشدُّ بعضه بعضا » . وشبَّك بين أصابعه[1] . كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا؟ معناه : أن اللبنة مهما كانت قوية ومتينة فهي وحدها لا تصنع شيئًا ، ما دامت مبعثرة ولو كانت ألف لبنة ، إنما تصنع شيئًا إذا وضعت بنظام وتماسك ، ووضع بينها شيء يربطها ـ الأسمنت أو المونة أو الطين ـ أو الشيء الذي يجمع هذه اللبنات في نظام وتناسق ، هو الذي يصنع المجتمع المسلم ، تصبح لبناته جزءًا في كيان كلِّي هو الذي نسمِّيه المجتمع ، لذلك صوَّر النبي ﷺ ، تلاحم هذا المجتمع بقوله : « ترى المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »[2] . ترابط عضوي ، الجسد يجب أن تكون فيه مجموعة من الأجهزة : الجهاز العصبي ، والجهاز العظمي ، والجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز الدموي ، والجهاز البولي ، أجهزة شتى . والأجهزة فيها أعضاء ، والأعضاء فيها خلايا وأنسجة ، ولكن كلُّها يخدم

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) ، كما رواه أحمد (١٩٦٢٤) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨) ، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠) ، عن أبي موسى .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأدب (٦٠١١) ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦) ، كما رواه أحمد (١٨٣٧٣) عن النعمان بن بشير .

بعضها بعضا ، كلُّ هذه مكوِّنات تكوِّن شيئًا واحدًا ، وكيانًا واحدًا .

هذا ما أراد النبي ﷺ أن يصوِّره لنا من حقيقة هذا المجتمع المسلم ، هذا المجتمع المسلم إذا نظرنا له اليوم ، للمجتمع المسلم أو المجتمع الإسلامي ، ونقصد المجتمع الذي ينتمي إلى الإسلام ، ويدين أهله بالإسلام ، ويقولون : نحن مسلمون ، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

التحديات تفرض نفسها على العالم الإسلامي :

المجتمع الإسلامي اليوم يواجه تحدِّيات ، هل يستطيع أن يتغلَّب على هذه التحدِّيات؟ هل يمكنه أن ينهض بما يريده الإسلام منه؟ هذا هو موضوعنا : التحدِّيات .

ويبدو أن كلمة التحدِّيات هذه فرضت نفسها على الناس ؛ قبل أن آتيكم كنتُ بالأمس في النادي الثقافي في مسقط ، وقد اختاروا أيضًا الموضوع الذي أحاضر فيه : (الأمة الإسلامية في مواجهة التحدِّيات) .

وقبل أن آتي إلى مسقط كنتُ في جدَّة ، وكان لي محاضرة أيضًا عن (الاقتصاد الإسلامي والتحدِّيات المعاصرة) .

وقبل ذلك كان لي محاضرة في مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض عنوانها : (الفقيه المسلم وتحدِّيات العصر) .

وقبلها محاضرة في النادي الأدبي في مكة عنوانها : (الدعية المسلم وتحدِّيات العصر) .

يبدو أننا نشعر أنَّ أمامنا تحدِّيات ، تحدِّيات تواجه الفقيه ، وتحديات تواجه الداعية ، وتحديات تواجه الاقتصادي ، وتحديات تواجه رجل الشرطة ، وتحديات تواجه المجتمع كلَّه . التحديات من غيرنا لنا ، كنا في الزمن الماضي نَتحدى ولا نُتحدى ، كنا نحن الأمة التي تتحدَّى العالم ولا عجب ، فنحن أمة القرآن الذي تحدَّى العرب ، وتحدَّى العالم من ورائهم : أن يأتوا بحديث مثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة مثله ، فغُلبوا وانقطعوا .

الأمة التي تحدَّى خليفتها يومًا السحاب في السماء ، وقال لها : شرِّقي أو غرِّبي ، وأمطري حيث شئت ، فسيأتيني خراجك[1] . الأمة التي تبوَّأت مكانتها تحت الشمس ، كانت هي الأمة الأولى ، وتمثِّل العالم الأول ، وصاحبة الحضارة الوحيدة في العالم ، كانت تَتحدَّى ، فأصبحنا الآن نُتحدَّى ، أصبح مجتمعنا يواجه تحدِّيات .

---

(١) انظر صبحي الأعشي (٣/٢٨٥) .

كيف نجمع بين الدين والدنيا ؟

أستطيع أن ألخِّص التحدِّيات التي يواجهها مجتمعنا في أمر واحد ، هو : كيف نستطيع أن نعيش عصرنا ، ونلحق به في العلم والتقدُّم التكنولوجي ، وتسخير قوى الطبيعة للإنسان ، ونستفيد من كلِّ ما في هذا العصر من إمكانات ، مع احتفاظنا بإسلامنا ، بمبادئنا ، بقيمنا ، بأخلاقياتنا ، بشعائرنا ، وشرائعنا؟

هل نستطيع أن نكون مسلمين مستمسكين بعُرى الإسلام ، معتزِّين بهذا الإسلام ، لا نحيد عنه شعيرة وشريعة؟

هل نستطيع أن نكون مسلمين نطبِّق الإسلام في حياتنا أفرادًا وجماعاتٍ ودولاً ، ومع هذا نستطيع أن نقيم مجتمعًا معاصرًا متقدِّمًا يملك ناصية العلم والتكنولوجيا ؟ أم لا نستطيع ذلك؟

هم يصنعون الحضارة ونحن نستهلكها :

هذا هو التحدِّي الحقيقي ، المشكلة أننا نحن المسلمين في كلِّ المجتمعات الإسلامية الآن ، نحيا في سجن التخلُّف ، نحن متخلِّفون ، مجتمعاتنا في كلِّ البلاد الإسلامية مجتمعات متخلِّفة .

obeikandi.com

لا يغرَّنكم ما ترون من هذه المظاهر التي نعيشها ، نحن لم نصنع هذا الميكروفون الذي يكبِّر الصوت ويسمعكم ، ولم نصنع هذه المسجِّلات التي تسجِّل صوتي ، ولم نصنع هذه الكاميرا التي تصوِّر هذه المحاضرة ، هذه الأشياء صُنعت لنا ، نحن نستورد ما صنع غيرنا ، قد نستورد أغلى المصنوعات وأفخرها ، يمكن أن نشتري أغلى جهاز ، لا يشتريه ولا ينتفع به أصحابه أنفسهم ، يعمله اليابانيون ، واليابانيون يصدِّرونه وقد لا يستخدمونه ، يمكن أن نشتري سيارات من ألمانيا لا يستخدمها معظم الألمان ، نقول لهم : اعملوا لنا سيارات خصيصا لنا ، (مرسيدس) خمسمائة . . وتصنع لنا ، وفيها كماليات لا تنتهي ، ثم كلُّ واحد منا يأخذ السيارة ويمشي ينهب الأرض نهبًا ، يمشي في الأرض مرحًا ، لا يمشي فيها هونًا كما يمشي عباد الرحمن ، كأنه صانع هذه السيارة . أنت لم تصنع فيها مسمار ، لم تصنع فيها شيئا .

لسنا متحضِّرين ولا متقدِّمين ، استهلاكنا لأدوات الحضارة ومصنوعات الحضارة لا يجعلنا متحضِّرين ؛ لأننا عالة على غيرنا . من عدَّة سنوات كنتُ في إحدي بلاد الخليج ، فنظرت فيما حولي فوجدتُ أن كلَّ ما حولي مستورد من الخارج ، كلَّ الأشياء حتى المكتب الذي أمامي مكتوب عليه أنه مستورد

من البلد الفلاني، حتى الموكيت الذي نمشي عليه من الخارج، ماذا فعلنا نحن؟ لا يوجد شيء ليس من الخارج إلا البشر، والباقي كلُّه جاء من الخارج، نحن أمة لم تصنع، نحن نستورد ولا ننشئ، نستهلك ولا ننتج، نشتري ولا نبيع. صحيح أننا نبيع البترول، لكننا لم نصنعه، الله هو الذي صنعه، ولم نكتشفه نحن، وإنما اكتشفه الخواجات، ثم نبيعه بأرخص الأسعار، ليردُّوه لنا بأغلى الأسعار، أضعاف أضعاف، فالحقيقة أننا متخلِّفون.

هم يسمُّوننا بلادا نامية، مصطلح البلاد النامية هذا تعبير مؤدَّب عن البلاد المتخلِّفة، الناس لا يريدون أن يجرحوا شعورنا، ويقولوا: البلاد المتخلِّفة. فسمَّونا البلاد النامية، ولعل لهم قصدا أن يخدِّرونا، حتى نظنَّ أننا ننمو، والواقع أننا متخلِّفون، لأن بيننا وبين القوم مراحل ومراحل، مسافات ومسافات.

بيننا وبين القوم مراحل:

عندما كنا نركب الناقة أو الحمار ـ أعزكم الله ـ كانوا هم يركبون السيارة، فلما بدأنا نركب السيارة وجدناهم يركبون الطائرة، فلما ركبنا الطائرة وجدناهم صنعوا الصاروخ. والواقع أننا ليس عندنا لا سيارة، ولا طيارة، ولا صاروخ،

إنما هي سياراتهم وطائراتهم ، هم صانعوها ، ونحن لم نصنع شيئا .

نحن في عالمنا العربي لم نصنع موتورا ، ولا موتور متوسيكل . أحسن الصناعات التي عندنا هي تجميع فقط ، صناعة (٤٠٪) وتجميع (٦٠٪) . أما الصناعات الثقيلة والماكينات المهمَّة لم نصنعها .

لقد قلت من قديم : أمة سورة الحديد لم تتعلَّم صناعة الحديد ، أنزل الله سورة في القرآن سماها (سورة الحديد)، لم يكن هذا عبثا ، إنه يذكِّرنا بأهمية هذا المعدن في حياة الإنسان ، قرنه الله بالكتاب والميزان : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد:٢٥)، كلمة ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ : إشارة إلى الصناعات العسكرية ، مثل الدبابات والصواريخ والمدافع الثقيلة والغواصات . وكلمة ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ : إشارة إلى الصناعات المدنية . ونحن للأسف لم نتقن هذه ولا تلك . لا الصناعات الحربية ، ولا الصناعات المدنية . نحن في مجتمعاتنا عالة على غيرنا .

الله تعالي يقول : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(الأنفال:٦٠)، فلم نستجب لله ، ولم نعِد ما استطعنا . أصبحت كلُّ أسلحتنا من عند غيرنا ، يعطينا ما يريد من الأسلحة ، ويكفَّ يده متى شاء ، ويشترط علينا شروط استخدام هذه الأسلحة . لو حدث في هذه الأسلحة عطل أو خلل أو شيء ماذا نصنع ؟ حدث في بعض بلاد الخليج ، أن محطة الكهرباء تعطلت فنصف المدينة أو ثلثها ، توقفت الحياة ، لا ثلاجة ، ولا مروحة ، ولا تكييف ، ولا إضاءة ، ولا شيء ، ونظلُّ في انتظار الخواجة الذي صنع الماكينة ، وأقام محطة الكهرباء حتى يأتي ليصلحها ، عندنا فلوس صحيح ، لكن ما قيمة الفلوس ، نشتري التكنولوجيا؟ التكنولوجيا لا تُشترى ، التكنولوجيا تعلَّم وتُصنع ، لكن إذا كنتُ أنا اشتري التكنولوجيا فصاحب التكنولوجيا هو الذي يتحكَّم فيَّ . ينبغي تعلُّم صناعة الحديد .

بل حتى الزراعة لم نتقنها ، معظم بلاد الإسلام بلاد زراعية ، ذات خصوبة عالية ، ومع هذا معظمها يستورد أكثر من نصف أقواتها ، القوت الضروري نستورده ، ونحن بلاد زراعية . بعض البلاد تستورد من الخارج من كلِّ عشرة أرغفة سبعة أرغفة ،

إذا الخارج توقَّف عن إنتاج القمح والدقيق ، ماذا أصنع؟ إذن أهلك أو أموت جوعا ، هو يتحكم فيَّ ، لذلك لا أستطيع أن أكون سيِّدا في أرضي ، أن أتخذ قراري من رأسي .

كما يقول شيخنا الشعراوى : إذا لم يكن قوتي من فأسي ، فلن يكون قراري من رأسي .

الفأس يعني أن نشتغل في الأرض ، لا نعتمد على غيرنا . الأمة التي علَّمها نبيها أن تغرس وتزرع ، وعلمها « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[1] .

ويقول فيما رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد : « إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإذا استطاع ألا تقوم ـ أي الساعة ـ حتى يغرسها ، فليغرسها »[2] .

ولماذا يغرسها؟ يغرسها لأن المسلم منتج ، معطاء ، عامل مستمرٌّ في عمله حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها ، سواء انتفع

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠) ، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣) ، كما رواه أحمد (١٣٥٥٤) ، والترمذي في الأحكام (١٣٨٢) ، عن أنس .

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١) وقال مخرجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩) . عن أنس ، وصححه الألباني .

بهذ الشيء أم لم ينتفع به إلا قليل ، أو لم ينتفع به أحد قط ، ويتعبَّد لله بالغرس ، كان في يده فسيلة يغرسها ، أو شتيلة يشتلها .

هذا هو الإنسان المسلم ، ومع هذا فنحن لا نغرس ولا نزرع ، ونستورد من عند غيرنا ، لا زراعة ولا صناعة .

قال النبي ﷺ : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده »[1] . وكان يعمل حدَّادا ويشتغل في صناعة التروس . ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠) ، ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ (سبأ: ١٠، ١١)، يعمل ويسبح الله ، وتتجاوب معه الجبال والطير يسبحن معه بالعشي والإشراق . يعبد الله من ناحية ، ويشتغل في الحدادة وصناعة الدروع من ناحية أخرى ، هذا الذي ينبغي أن يكون .

كيف نستطيع أن ننهض ونواجه هذا التحدِّي لنصبح مجتمعًا متقدِّما لا عالةً على غيرنا ، حتى في أخصِّ الشئون ، هل نستطيع؟ نستطيع ، عندنا كلُّ الإمكانيات ، ما الذي يمنعنا؟

---

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢) ، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٦٧) ، عن المقدام بن معد يكرب .

هل نحن أقلُّ من غيرنا؟ لا لسنا أقلَّ من غيرنا ، نحن بدأنا النهضة في البلاد العربية ، ومصر بالذات هي أول بلد نهض في هذه الناحية ، مع اليابان ، وربما قبل اليابان بقليل ، أيام محمد علي باشا ، انظر أين اليابان الآن وأين نحن؟! نحن كما قلنا : نستورد من الإبرة إلى الصاروخ . واليابان أصبحت (البُعبُع) المخيف لأمريكا نفسها ، البلد الذي هُزم في الحرب العالمية الثانية ، وجُرِّد من السلاح ، ومن الجيش ، فكَّر في مشروع آخر يستطيع أن ينتصر به ، وأن يتغلَّب على غُزاته ، أن يعمل في جانب العلم والتكنولوجيا والاقتصاد ، وفعلاً فعل هذا وتفوَّق على غُزاته . دعونا من اليابان .

هناك بلاد بدأت من وقت قريب جدًّا ، كوريا بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ، وبدأت من الصفر ، انظروا أين هي الآن ؟ تغزو أسواق العالم . ما ذهبتُ إلى بلد في أوربا أو أمريكا أو أستراليا أو أيِّ مكان في العالم إلا وجدت المنتجات الكورية ، جنَّدوا الشعب كلَّه للعمل ، والعمل الجاد ، فأنتجوا .

ما الذي يعجزنا ؟

هل نحن أقل ذكاءً من غيرنا؟ هل هذا قدر مكتوب علينا؟ القدر لم يكتب علينا هذا . هل هذه طبيعة الإسلام ، كما ادَّعى

بعض الناس : أن طبيعتنا الدينية هي التي جعلتنا نتخلَّف؟ هذا كذب لأن التاريخ يُكذِّب هذا ، يوم كنا مسلمين حقًّا صنعنا أعظم حضارة في التاريخ ، الحضارة التي جمعت بين العلم والإيمان ، وحققت العدل والإحسان ، وأقامت حضارة ربانية إنسانية أخلاقية ، حضارة التوازن بين الحقوق والواجبات ، بين الرُّوح والمادة ، ربطت الأرض بالسماء ، والدنيا بالآخرة .

ما الذي يعجزنا نحن؟ كنا أصحاب الحضارة الأولى في العالم ، كانت جامعاتنا هي موئل الطلاب من أوربا وغير أوربا . أوربا وصل إليها المنهج التجريبي والعلم التجريبي عن طريق بلاد المسلمين ، عن طريق عواصم الحضارة ، وخصوصًا قرطبة والأندلس وصقلِّية وغيرها ، تعلَّموا منا ، (فرانسيس بيكون) و(روجر بيكون) اللذان يقولان إنهما أبوا الفلسفة التجريبية والمنهج التجريبي ، تعلَّما هذا من الحضارة الإسلامية . هذا ما ذكره مؤرِّخو العلم . مؤرِّخ العلم (جورج سارتون) في كتابه (تاريخ العلم) ، و(بريفولت) في كتابه (بناء الإنسانية) ، و(درايبر) في كتابه (النزاع بين العلم والدين) ، و(جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) ، كلُّ هؤلاء أقرُّوا أن العرب سبقوا بالمنهج العلمي ، وطبَّقوه بالفعل ، لذلك برعوا وسبقوا في الطبِّ والتشريح والكيمياء والفيزياء

وتقويم البلدان والفلك وغيرها ، وأسماء علماؤنا هي الأسماء الشهيرة في العالم كلِّه ، هذا معروف ومقرَّر .

مَن يجهل اسم جابر بن حيان ، أو الحسن بن الهيثم ، أو البيروني ، أو الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ، أو الرازي ، أو ابن رشد ، أو غير هؤلاء كثيرون . إذن الإسلام لا يمنعنا ، بالعكس الإسلام يعطينا الحوافز ، يعطينا الطاقة ، ويعطينا الأهداف أيضًا التي نسعى إليها ، ويرسم لنا المناهج السليمة ، يعطينا الطاقة التي تجعل الإنسان يعمل بأضعاف ما يعمل غيره بالطاقة الإيمانية ، الإيمان هو الذي يفجِّر القدرات المختزنة ، والطاقات المكنونة عند الإنسان ، فيصنع الأعاجيب ، والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال:٦٥)، فمعنى هذا أن الفرد إن كان عنده الإيمان ﴿ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وعنده الإرادة ﴿ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ ﴾ ، الصبر وقوَّة الإرادة ، فممكن أن يعمل بعشرة أضعاف طاقة غيره ، وفي حالة الضعف ممكن أن يعمل بضعف الغير : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾ (الأنفال:٦٦)، إذن

الإسلام يمكن أن يعطينا قوَّة هائلة ، وطاقة غير محدودة ، هذا الذي ذكره القرآن في المجال العسكري ، وكذلك الأمر في المجال الحضاري ، والمجال الإنتاجي والاقتصادي .

تستطيع الأمة أن تعمل ، ولكن الواقع ـ أيها الإخوة ـ أن الأمة لا تعمل ، نحن مجتمعات لا تعمل كما ينبغي ، نحن أقل المجتمعات عملاً ، دعونا نصارح أنفسنا بالحقائق ، زرنا بلادًا كثيرة فوجدنا الناس تجتهد وتتعب ، وتكدح وتعاني من أجل الكسب والعمل ، يعملون فترتين في النهار ، هكذا رأيناهم في أوربا وأمريكا ، الإنسان يستيقظ في الصباح الباكر ويذهب إلى عمله ، ليصل الساعة الثامنة صباحًا ويعمل بلا كلل إلى الساعة الثانية عشر ، ثم يأخذ فترة الغداء في مكان العمل نفسه ساعة ، ثم يبدأ من الساعة الواحدة إلى الساعة الخامسة ، ثم ينتهي ويعود إلى البيت . وهكذا يواصل ، في آخر الأسبوع (Week end) يرفِّهون على أنفسهم ، ويلعبون كما يريدون .

كنتُ في ألمانيا مرَّة فمشيتُ في الطريق فلم أجد ناسًا ، لا زحام ، ولا ناس على الأرصفة فسألتُ أحدهم : أين الناس؟ قال : الناس في أعمالهم .

وبعد الساعة السابعة نظرتُ فلم أجد أحدًا قلتُ له : أين الناس؟ قال : الناس عادوا من أعمالهم إلى بيوتهم ، الناس تتعب طوال اليوم فيرجعون متعبين مهدودين ، فيأوون إلى بيوتهم يتعشُّون ويجلسون مع أولادهم ، ويسمعون نشرة الأخبار ، وينامون مبكِّرين ؛ لأنهم يستيقظون مبكِّرين فوراءهم عمل جاد .

في بلادنا نجد الناس تملأ الشوارع ليلاً ونهارًا ، وتذهب إلى المصالح والمكاتب لا تجد عليها أصحابها ، وإذا وجدتَ عليه صاحبه وجدتَه يقرأ الصحيفة ، أو يشرب القهوة ، أو يدخِّن السيجارة ، أو يتكلَّم مع صاحبه ، ويكلِّمك من طرف أنفه ، ويقول لك : تعال بعد أسبوع ، أو بعد كذا يوم . ولا يقضي عملا .

إن المجتمع الذي أقرَّ هذه الصناعة ، وأقام هذه النهضة ، لم يقِمها من فراغ ، ولم يقِمها اعتباطًا ، بل أقامها بعد جُهدٍ جهيد ، لذلك إذا أردنا أن ننهض بالفعل قلنا : لا بدَّ من عمل ، من علم وعمل ، لا بدَّ من علم صحيح . هذا معناه أنه لا بدَّ أن تقوم مناهجنا على أساس تربويٍّ صحيح ، يُخرج عقلية علمية ، لا بدَّ من هذا . لكن التعليم في معظم بلادنا يُخرِّج موظَّفين ، ويُخرِّج ناسا يحفظون بعض النصوص ، ولكنهم لا يعرفون شيئا . في بعض البرامج التي أُذيعت في

رمضان في بعض أوقات التلفزيون ، فضائح ، خرِّيجون يسألون عن أبسط الأشياء فلا يجيبون .

أمريكا منذ سنوات كانت تراجع أنظمتها ومناهجها التعليمية ، وأُلِّف في ذلك كتاب مشهور ترجمه أحد أصدقائنا ، الدكتور يوسف عبد المعطي (أمة على حافة الخطر) ، أمة على حافة الخطر لماذا ؟ لأن النظام التعليمي فاسد ، والمناهج التعليمية فاسدة ، والناس الذين يتخرَّجون ليسوا متعلِّمين حقيقيين ، ليس عندهم فَهم ولا ثقافة ، وجاءت بخبراء من اليابان لينظروا في مناهجهم التعليمية ، ويقولون : ماذا تقترحون علينا؟ أمريكا لم تجد حرجًا أو خجلاً من هذا .

نحن في حاجة إلى تخريج عقلية علمية ، القرآن ينشئ هذه العقلية ، بعض الناس يظنُّ أن الدين ليس له علاقة بالعلم ، وربما ظنَّ بعض الناس أن الدين يناقض العلم ، هذا قد يكون صحيحًا بالنسبة للنصرانية والكنيسة ، لكن نحن الدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، الدين عندنا علم ؛ لأنه قائم على أساس العقل : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ (البقرة:١١١) ، ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ ﴾(يونس:١٠١)، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ (الأعراف:١٨٤)، ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٦٤) ، ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد:٣) . الدين قائم على أساس الحجَّة والبرهان . قال علماؤنا : إن العقل

أساس النقل . لماذا ؟ لأن أعظم قضيتين من قضايا الوجود أساس إثباتهما هو العقل : وجود الله وإثبات النبوة .

إذا أردتَ أن تخاطب الشيوعية وأن تناقشها ، إذا أردتَ أن تثبت وجود الله ، فهل تقول له : قال الله تعالى وقال الرسول؟! وهو لا يؤمن بالله ولا بالرسول ، فلا بد إذن أن تخاطبه بالعقل ، إذا أردتَ أن تثبت له أن محمدا نبي من عند الله،لا بد أن تثبت له هذا بالعقل ، أعظم القضايا الدينية ثابتة بالعقل .

لهذا نقول : الدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، لأن طلب العلم فريضة وعبادة عندنا ، علم الدين وعلم الدنيا ، حتى علوم الدنيا ، فقهاؤنا قالوا : كل علم دنيوي يحتاج إليه المسلمون ، فإن تعلّمه وإتقانه فرض كفاية . علم الطب ، علم الحساب ، علم الهندسة ، علم الفيزياء ، أيُّ علم من العلوم لا بد أن يتعلّمه المسلمون ويتقنوه ، ويكون عندهم عدد كافٍ من العلماء والخبراء المتخصّصين فيه ، بحيث لا يحتاجون إلى غيرهم ، لكن ليس عندنا مشكلة بين العلم والعقلية العلمية ، بل القرآن هو أعظم ما ينشئ العقلية العلمية ، كنت أقول لبعض الإخوة الذين يهتمُّون بالتفسير العلمي للقرآن ، أو الإعجاز العلمي للقرآن ، أقول لهم : إن أعظم من هذا كلِّه أن القرآن ينشئ العقلية العلمية . ما معنى العقلية العلمية؟ العقلية التي ترفض الخرافة ، ولا تقبل شيئًا إلا ببرهان ، ﴿ قُلْ

﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ (البقرة:١١١) ، العقلية التي ترفض التقليد ، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ (الزخرف:٢٢)، و﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ (الأحزاب:٦٧) ، العقلية التي ترفض الظنَّ في موضع اليقين ، ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (يونس:٣٦)، العقلية التي ترفض الميول الشخصية في المقام العقلي والعلمي ، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ (النجم:٢٣) ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص:٢٦)، العقلية الموضوعية الحيادية التي تنظر إلى الأمور وتتفكّر ، ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ ﴾ (يونس:١٠١) ، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ (الأعراف:١٨٤) ، هذه هي العقلية العلمية التي ينشئها القرآن ، ولا عجب أن قامت الحضارة الإسلامية على هذا الأساس ، نجد كثيرًا من العلماء الذين نبغوا في الحضارة الإسلامية كانوا علماء دين ، الخوارزمي الذي اخترع الجبر والمقابلة هذا ، إنما اخترعه لأنه كان يؤلّف رسالة في الفقه ، في الوصايا والمواريث ، ورسالته التي اخترع فيها الجبر نصفها فقه ونصفها رياضة ، يعرف ذلك مَن رأى هذه الرسالة؟ وقد نشرها بعض أساتذة الرياضة ، وعلّقوا على نصفها الثاني ، ولم يعلّقوا بكلمة على نصفها الأول ، لأن علماء الرياضيات في عصرنا طبعًا لا يعرفون في الفقه شيئًا ، أما الخوارزمي فهو فقيه ورياضي .

ومثل ابن رشد ، وهو فيلسوف ، وأعظم شرَّاح أرسطوطاليس ، نقل فلسفة أرسطو الى العالم الغربي بشروحه ، وهو فيلسوف إسلامي له كتبه المشهورة ، وهو كذلك طبيب ، صاحب كتاب (الكليَّات) في الطبِّ ، الذي كان مرجعًا لأوربا عدَّة قرون ، وهو مع ذلك فقيه مالكي ، كان قاضيًا شرعيًّا ، وله في الفقه المقارن كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) المعروف ، لا ليس عندنا مشكلة من هذه الناحية ، القرآن هو الذي ينشئ العقلية العلمية ، وهو الذي يحفِّزُنا ، يعطينا الحوافز لكي نقيم مجتمعًا علميًّا عمليًّا تقدُّميًّا ، لنبنيه بناء عصريًّا .

الإمكانات المادية للنهوض :

ما الذي يمنعنا إذن من النهوض؟ عندنا إمكانات النهوض ، الإمكانات المادية موجودة والحمد لله ، مجتمعاتنا الإسلامية تعيش في أخصب بلاد الله بقعة ، وأطيبها رقعة ، بلاد فيها خصوبة من الناحية الزراعية ، وفيها تكامل ، البلد هذه فيها نفط ، والبلد هذه فيها أرض زراعية ، والبلد هذه فيها منجنيز ، وهذه فيها حديد ، وهذه على السواحل ، وهذه في الصحراء .

يتكامل هذا العالم الإسلامي لكي يصنع عالما عظيما ، ولكن بشرط أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطوِّرة جماعة لا فرادى ، كما نصلِّي لله جماعة ، ينبغي أن ندخل هذا العصر جماعة ، العالم الآن يتكتَّل ويتلاحم ، أوربا التي تقاتلت في

ما بينها قرونًا ، قاتل بعضها بعضا ، رغم هذه الحروب ، ورغم الزمن الطويل التي استهلكته ، أوربا ، الآن تتلاحم وتتقارب ، تصنع سوقًا اقتصادية واحدة ، وتوشك أن تجعل من نفسها كتلة سياسية واحدة ـ نحن درسنا تاريخ أوربا في معاهد الأزهر ، درسناه أكثر من تاريخ الإسلام ، وعرفنا الحروب التي استمرَّت بينها ـ ونحن نتمزَّق ، ونتفرَّق ، ونثبِّت التجزئة القائمة ، ومع هذا نريد أن ننهض ، لن نستطيع أن ننهض بهذا ، إمكانات النهوض موجودة ، إمكانات النهوض عندنا من الناحية المادية موجودة ، ومن الناحية البشرية .

نحن المسلمين نملك طاقات بشرية هائلة ، ألف ومائتا مليون مسلم[1] ، العرب مائتا مليون ، وعندنا عقليَّات جيدة ، وأكثر هذه العقليات أو كثير منها هاجر إلى البلاد الأخرى ، في تخصُّصات نادرة بقوا في أوربا وأمريكا ، لأن كثيرًا منهم وجد أنه إذا عاد إلى بلده لا ينتفع به ، بينما ينتفع به أولئك ، ويدفعون له أعظم الرواتب ، ويحققون له أفضل المناخات المطلوبة ، لينتج ويعمل وينبغ ، نحن لا نهيِّئ له هذا ، مناخ صحي ، جو إيجابي يعين هذه العقول النابغة على الابتكار ، وعلى الإنتاج ، لا بد أن يشعر الشخص بكيانه وحريَّته وكرامته ، بعض البلاد العربية من بلاد النفط في وقت من

---

(١) العدد الآن يبلغ ١٦٥٠ مليونا أو يزيد ، والعرب أكثر من ثلاثمائة مليون .

الأوقات أخذتها صحوة وثورة حماسية ، وقالوا : نريد أن نقيم مدينة علمية ، هاتوا كلَّ العرب والمسلمين من المهاجرين الذين يعملون في أوربا وأمريكا . وذهب مندوبوهم وقالوا : تعالوا ، سنقيم لكم مدينة علمية نحقِّق لكم فيها ما تريدون ، ونهيئ لكم كلَّ ما تريدون . وجاء الناس وصدَّقوا هذا ، جاءوا من عرب ومن باكستانيين ومن ماليزيين ومن هنود ومن غيرهم ، ثم ذهبوا ، أول ما نزلوا من المطار أخذوا جوازاتهم واستبقوا الجوازات عندهم ، إذا أراد أحدهم أن يسافر لا يستطيع ، شعروا بعد فترة أنهم مسجونون ، فقالوا : لقد كنا في بلاد نعيش فيها أحرارًا . فما إن أتيحت لأحدهم فرصة ، اخترع كل واحد سببًا للسفر ، ثم إذا ركب الطائرة قال ما قال الشاعر قديمًا :

عَدَس : مال لعبَّاد عليك إمارةٌ نجوت وهذا تحملين طليق[1]

يحتاج الإنسان لكي ينتج أن يشعر بكيانه ، بكرامته ، بوصفه إنسانًا ، الأدب العربي يحكي لنا قصة ، قصة عنترة ابن شداد العبسي ، كان أسود اللون وأبوه يعامله كأنه عبد من العبيد ، ثم أغارت إحدى القبائل يومًا على بني عبس ، وانهزم الفرسان أمامهم ، وكاد الناس يدخلون على الحريم ويسبون النساء ، وعنترة يتفرَّج ، وأبوه ينظر إليه ، قال له : كرّ . قال له : يا أبتِ ، العبد لا يحسن الكرَّ ، وإنما يحسن الحلابة والصر .

---

(١) من شعر : ابن مفرغ الحميري .

فقال له : كُرّ وأنت حر . فامتطى جواده وأخذ سيفه ورمحه ، وبدأ يهاجم المغيرين ، ويرتدون أمامه وينسحبون ، حتى هزمهم[1] .

بدأ الناس يقولون : عنترة عنترة عنترة ، لولا عنترة لسبي النساء ولأخذ المال .

ما الذي جعله يفعل هذا ؟! قول أبيه : كُرَّ وأنت حرٌّ . أعطني حريتي وكرامتي أشتغل . بينما حينما يكون الإنسان في بلد لا يشعر فيه بالكرامة والحرية ، ويرى أن ما يعمله ثمرته لغيره ، نحن لنا النوى ولغيرنا التمر ، نحن نزرع القمح ونأكل الطين ، نعم ، فالإنسان لا يعمل .

لا بدَّ أن يشعر بالعدل ، كما يقول شاعر آخر :

وإذا تكون كريهةٌ أُدعى لها وإذا يُحاس الحيسُ يُدعى جنده[2]

يعني : في الكراهة والشدائد ينادى هو ، أدركنا : يا فلان . لكن إذا صنعوا الحيس ، وعملوا العصيدة ، وعملوا الحلوى ، يدعون أخاه الآخر ، لينال المغنم ، فواحد له المغنم ، وواحد عليه المغرم! .

شعور الناس بالظلم لا يجعلهم يعملون ، لذلك نحن في حاجة إلى هذا الجو الإيجابي حتى يعمل الناس ، إمكانات

---

(١) انظر : الأغاني للأصبهاني (٨/٢٤٦) .

(٢) من شعر : ابن الرومي .

النهوض موجودة ، عندنا القدرات المادية ، وعندنا الطاقات البشرية ، وعندنا فوق ذلك القوة الروحية : نحن نملك ما لا يملك غيرنا ، نملك الرسالة الخاتمة ، الرسالة الخالدة ، رسالةَ محمدٍ ﷺ .

نملك الوثيقة السماوية الوحيدة التي لم يعترها تحريفٌ ولا تبديل ، نملك القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نملك السنة النبوية والسيرة المحمدية ، التي فيها موضع لكل مقتدٍ ، السيرة الجامعة ، يستطيع كلُّ إنسان أن يجد فيها موضعًا للأسوة ومكانًا للقدوة .

نحن نملك ما لا يملك غيرنا ، نستطيع أن ننهض إذا صحَّ توجهنا ، ولن يصحَّ توجُّهنا إلا بالإسلام ، أن نكون مسلمين حقًّا ، نعتزُّ بإسلامنا ، ونقول ما قاله ابن الخطاب : نحن كنا أذل قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام ، فمهما نلتمس العزة بغيره أذلَّنا الله[1] .

الإسلام لا نعتز به بمجرَّد الكلام ، ولكن ، اعتزازًا يتمثَّل في العمل .

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٦٢/١) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي .

الأفراد يعملون به ، الأسر تتمسَّك بـه ، الدولـة تتمسَّـك بـه تشـريعًا وقانونًـا وأخلاقًـا وثقافـةً وإعلامًـا ، لا بـدَّ أن يكـون الإسلام أساس هذا كلِّه ، فلا نأخذ ببعض الإسلام دون بعض ، فيكـون الإسـلام في المسـجد ، ولكـن لا علاقـة لـه بالتلفـاز ، الإسلام في البيت ولكـن لا علاقـة لـه بالجامعـة ، أو الإسـلام ناحية الفرد لا الجماعة .

لا بـدَّ أن يكـون الإسـلام في كـلِّ شـيء ، في التربيـة ، في التشـريع ، في الثقافـة ، في الإعـلام ، في المسـجد ، في حيـاة الفرد ، في حياة الأسرة ، في حياة المجتمع ، في الطريـق ، في المزرعة ، في المصنع ، في المحكمة ، في كل مكان .

« اتقِ الله حيثما كنتَ ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[1] ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:١١٥).

لكي نكون مسلمين حقًّـا لا بـدَّ أن نرجـع إلى الإسـلام في حياتنا ، إذا رجعنا إلى الإسلام سيصنع الإسلام منا الأعاجيب ، سـيفجِّر الطاقـات المكنونـة ، سـيظهر المبتكـرون ، سـيظهر العاملون ، سيتعبَّد الناس بالعمل ، نحن في حاجـة إلى رسـالة رُوحيـة إيمانيـة أخلاقيـة لكـي نلحـق بغيرنـا ، كيـف نلحـق

(١) رواه أحمد (٢١٥٣٦) وقال مخرجوه : حسن لغيره ، ورواه الترمذي في البر والصلة (١٩٨٧) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧) ، عن أبي ذر .

بالعصر؟ كيف نلحق باليابان؟ كيف نلحق بكوريا؟ كيف نلحق بعصر التفوُّق والتقدُّم؟ إذا لم يكن عندنا رسالة ذات أهداف كبرى ، تستطيع أن تجنِّد الناس تجنيدًا .

بدون هذا سيظل الناس في خمول ، في همود ، في رقود ، في نومة أهل الكهف .

لن يوقظ الناس من سُبات ، ولن يحييهم من موات : إلا الإسلام ، إلا الإيمان . هذا جربناه في كلِّ شيء ، لم ينفع حينما عزفنا على الناس بنغمة القومية العربية ، أو نغمة الاشتراكية الثورية ، أو نغمة الليبرالية الرأسمالية ، أو أي نغمة من هذه النغمات أو هذه المعزوفات ، كلُّها لم تحرِّك ساكنًا فينا ، ولم تنبِّه غافلاً في مجتمعاتنا .

لم تحشد الطاقات ، القادر على حشد الطاقات وتفجيرها وصناعة شيء من هذه الأمة هو الإسلام ، أن تنفخ في هذه الأمة رُوح الإيمان ، هذا وحده هو الذي يجعلنا ننهض ، إمكانات النهوض موجودة إذا أحسنَّا الانتفاع بها ، ولا نهوض إلا على أساس من الإسلام .

الإسلام الصحيح لا إسلام الغلاة المتشدِّدين ولا إسلام المترخِّصين المتسيبين ، إسلام الوسط ، الإسلام الأول ، إسلام القرآن والسنة ، الإسلام كما فهمه الصحابة ومَن تبعهم بإحسان ، هذا الإسلام هو القادر على أن يحيي هذه الأمة ،

ويبنيها من جديد ، إذا أحسنَّا فَهمه ، وأحسنَّا تطبيقه ، لا أن نشتغل بالجزئيات عن الكليَّات ، ولا بالفروع عن الأصول ، ولا بالشكل عن الجوهر ، ولا بالنوافل عن الفرائض ، ولا بالمختلَف فيه عن المتَّفق عليه ، ولا بأعمال الجوارح عن أعمال القلوب .

الإسلام الذي يعرِّفنا الحقائق الكبرى ، لتستنير بها عقولنا ، وتطمئن بها قلوبنا ، وتحيا بها ضمائرنا ، وتصدق بها عزائمنا هذا الإسلام هو وحده القادر على أن ينشِّئنا من جديد خلقًا آخر ، إذا أحسنَّا الفَهم وأحسنا التطبيق .

لم يكن الإسلام مجرَّد شعارات ، ولا مجرَّد لافتات ، ولا مجرَّد دعاوى ، ولا مجرَّد خطب تُقال ، ولكن يتمثَّل في حقائق عملية ، يتمثَّل في علم وعمل وسلوك ودعوة وجهاد .

هذا الإسلام وحده ـ أيها الإخوة والأخوات ـ هو القادر على النهوض بهذه الأمة من جديد لتتبوَّأ مكانتها ، وتؤدِّي دورها كما أراد الله لها ، لتكون بحقٍّ أمةً وسطا ، وخير أمةٍ أخرجت للناس .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها ، ويجعل غدها خيرًا من يومها ، إنه سميعٌ قريب .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأسئلة

هل تسير الأمة من سيئ إلى أسوأ ؟!

السؤال : شيخنا الفاضل ، رغم تحذيراتكم وغيركم من العلماء الأفاضل منذ أكثر من ثلاثين سنة ، إلا أن هذه الأمة تسير من سيئ إلى أسوأ ، وأرى أن همَّها الوحيد هو التكالب على المال فقط ، فهل أصبحت هذه الأمة ظاهرة صوتية كما يقولون؟ ويبقى السؤال ، ثم ماذا بعد؟

الجواب : يبدو لي أن الأخ ينظر من وراء نظَّارة سوداء قاتمة ، فلا يرى إلا السوء ، الواقع أنه مَن ينظر إلى الأمور بإنصاف واعتدال يرى أن هناك تقدُّمًا في أشياء كثيرة جدًّا ، يرى هذه الصحوة الإسلامية التي نلمس آثارها في كلِّ مكان ، عاينتها ، رأيتُها بعيني ، ولمستُها بيدي ، فكانت في بلاد العرب ، وبلاد العجم ، العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي ، حتى في الجاليات والأقليات الإسلامية في الشرق والغرب ، هذه الصحوة ، وهي صحوة علم وفكر ، وصحوة مشاعر وحماس ، وصحوة إرادات وعزائم ، وصحوة التزام وسلوك .

مَن ينكر هذا الشباب الذي يملأ المساجد ، كانت المساجد قديمًا لا يكاد يؤمُّها إلا المحالون على التقاعد ، الإنسان حينما يقترب من القبر يريد أن يختم حياته بالذهاب إلى المساجد . فمن الذي يرتاد المساجد الآن؟ الشباب .

مواسم الحج والعمرة ، كان الذين يحجُّون قديمًا هم الشيوخ الكبار ، كما قال بعضهم ، الحجُّ هو تمام الأمر وختام العمر .الآن اذهب إلى المواسم تجد الأغلبية العظمى من الشباب .

مَن الذي يقرأ الكتاب الإسلامي الآن؟ الكتاب الإسلامي هو صاحب الرقم الأول في سوق التوزيع في كلِّ معارض الكتب ، مَن ينكر أن المكتبة الإسلامية الآن فيها عشرات ومئات الكتب على المستويات المختلفة ، بعضها سطحي وبعضها عميق ، وبعضها دراسات أكاديمية ، وبعضها رسائل ماجيستير ودكتوراه .

لقد كنتُ وأنا أُعِد لكتابي فقه الزكاة منذ أكثر من ثلث قرن ، أبحث عن كتب في الاقتصاد الإسلامي ، فلم أجد إلا كتابا أو اثنين ، ولم أجد كتبًا ، حتى أني كنتُ أقرأ كتب الاقتصاد السياسي ، ولا أجد الإسلاميين يشيرون إلى الاقتصاد الإسلامي بسطر واحد ، يتكلَّمون عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ، وعن اليونان ، وعن الرومان ، وعن الفرس ، لكن لا يوجد شيء اسمه اقتصاد إسلامي ، الآن مئات الكتب ، عشرات رسائل الدكتوراه والماجيستير في الاقتصاد الإسلامي ، مراكز أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، أقسام في الجامعات ، أساتذة متخصِّصون في الاقتصاد الإسلامي ،

مجلات في الاقتصاد الإسلامي ، مؤتمرات تقام عن الاقتصاد الإسلامي ، بنوك تعمل في إطار الاقتصاد الإسلامي ، شركات اقتصاد إسلامي ، أليس هذا كلُّه صحوة إسلامية؟!

فالصحوة الإسلامية تجسَّدت فكريًّا في كتب ومكتبات ، تجسَّدت عمليًّا في هذه البنوك ، وتجسدت جهاديًّا في حركات الجهاد الإسلامي في فلسطين الآن ، بعد أن كان العلمانيون هم الذين يقودون حركات النضال كما يسمُّونها ، تمثَّلت في أفغانستان ، تتمثَّل الآن في البوسنة ، تتمثَّل في الفلبين .

فلا شكَّ أن الصحوة الإسلامية حقيقة ، لا يستطيع أحد أن ينكر ذلك .

بل إن حركة المرأة المسلمة في صحوة أيضا ، في وقت من الأوقات لم نكن نجد امرأة محجَّبة ، كنتُ أمشي في بعض العواصم العربية في الستينيات لا أرى امرأة محجَّبة ، تجد امرأة عجوزًا أكل الدهر عليها وشرب ، ومع هذا تلبس ما يسمُّونه (الجابونيز) ، ألا تستحي من نفسها . وكان الحجاب تهمة في ذلك الوقت ، الآن ادخل الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس ، واذهب إلى الأسواق وامش في الطرقات ، تجد هذه الظاهرة ، ظاهرة نسائية طوعية .

فكيف يقول الأخ : إننا بنسير من سيئ إلى أسوأ . لا بل نحن في تقدُّم كبير .

لكي نستطيع أن ننهض لا بدَّ أن يكون عندنا أمل ، والحقيقة أن هناك إيجابيات كثيرة ، صحيح أن الصحوة الإسلامية أزعجت القوى المعادية للإسلام ، وهيَّجت غرائز الشرِّ فيه ، ولذلك بدأوا منذ فترة يكيدون لهذه الصحوة ، ويبيِّتون لها الشرَّ ، ومن الشرِّ الذي بيَّتوه أنهم أوقدوا نيران الفتنة بين الحكَّام وبين الذين يمثِّلون هذه الصحوة ، وأفهموهم أن هذه الصحوة خطرٌ عليكم ، وإن الأصوليون لا يأتون إلا بالشرِّ . وبدأت عمليات في أكثر من بلد ، هذا نتيجة ماذا ؟ نتيجة الصحوة ، الصحوة خوَّفت هؤلاء الناس ، ولذلك عملُنا أن نبيِّن للمسؤولين في بلاد الإسلام : إنه لا نجاة إلا بالإسلام ، وأن هؤلاء الإسلاميين الذين يخوِّفونكم منهم ليس بغيرهم النجاة . نحن نرى الشباب الآن الذين تعمل فيهم الشبكات ، الشبكات العالمية ـ إسرائيل والصليبية وغيرهم ـ لصيدهم عن طريق التهتُّك والتحلُّل ، أو عن طريق المخدِّرات والسموم البيضاء والخضراء،مَن الذي ينجو من هذه المهالك؟ الشباب المسلم ، الشاب الملتزم لا يمكن أن يقع في هذه الشبكة ، لأنه لا يذهب إلى الأماكن المشبوهة ، ولا يعرف السجائر ، فهذا هو المعصوم ، وليس كونه معصوما أنه نبيٌّ ، لا ، بل يعني إنه حفظه الإسلام ، وعصمه الدين والإيمان .

فأنا أخالف الأخ بإننا لم نصنع شيئًا ، لا ، صنعنا الشيء الكثير ، والذي صنعناه هو الذي أيقظ أعدائنا ، وجعلهم يفعلون ما يفعلون .

فعلينا أيضًا أن نستيقظ من جديد لنقاوم هذه الهجمة ، ولا نيأس إن شاء الله ، وإنا بإذن الله لواصلون .

دور رجال الشرطة في النهضة :

السؤال : فضيلة الدكتور ، رجاء تحديد دور رجال الشرطة للنهوض بالمجتمع الإسلامي ماديًّا وروحيًّا ؟

الجواب : حقيقة والله ، إن رجل الشرطة له أهمية كبيرة في كثير من البلاد الإسلامية والعربية ، رجل الشرطة هذا الذي يعتبره الناس كأنه عدوٌّ لهم ، ففي مصر مثل يقول : (إذا كان ذراعك عسكري اقطعه) . لماذا؟ من طول ما عانى الناس من ظلم العساكر ، وكانت الشرطة تستخدم كأدوات للظالم ، والحديث يقول : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ . . . »[1] . فهؤلاء الجلادون .

نحن نريد رجال شرطة مؤمنين ، يقولون : (الشرطة في خدمة الشعب) . هذا هو الذي ينبغي أن يتحقق ، أن يعتبر رجل الشرطة نفسه فعلاً خادمًا للشعب ، وليس سوطا

---

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨) ، وأحمد (٨٦٦٥) ، عن أبي هريرة .

للحكومة ، إنما هو خادم للشعب ، عليه أن يعامل الناس معاملةً حسنة ، ولذلك لا بدَّ من توعية لرجال الشرطة . وهذا بداية طيبة من هذا النادي ، وهي تدلُّ على توجُّه طيِّب . نحن لا نريد جنودًا لفرعون ، فالقرآن يقول : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص:٨) ، القوة العسكرية التي كانت مع فرعون ، مثل فرعون وهامان ، حمَّلهم الله المسؤولية ؛ لأنهم أعوان الظالم .

لما سجن الإمام أحمد في محنة خلق القرآن ، جاءه حارس السجن يسأله : هل الأحاديث التي وردت في أعوان الظلمة صحيحة ؟ قال : صحيحة . قال : فهل أنا منهم ؟ قال له : لا ، لستَ من أعوان الظلمة ، إن أعوان الظلمة مَن يطهو لك طعامك ، ويخيط لك ثيابك ، ويقضي لك حاجتك ، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم[1] .

فعلى الإنسان أن يحرص ألا يكون ظالما ، ولا عونًا لظالم . نصيحتي للإخوة في الشرطة ، وقد آتاهم الله سلطة : أن يحاول كلٌّ منهم أن يجعل سلطته هذه في خدمة الحقِّ ، في مساعدة الضعيف ، في إقامة العدل . لا تحابي ؛ لأن هذا من القبيلة الفلانية فتكرمه ، وهذا إنسان ضعيف فتكلمه من طرف أنفك ، واحد ترحِّب به وتكرمه غاية التكريم ، وآخر تهمل

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (١/٤٣٥،٤٣٦) .

أمره ، لا ،حاول أن تكون كما قال سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري : وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك[1] . حتى الوجه ،حتى في ملاقاتك للناس لا تبتسم في وجه واحد وتتجهَّم في وجه آخر . فحاول يا أخي أن تقيم العدل ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول : «يومٌ من وال عادل خيرٌ من عبادة ستين سنة»[2]. وأيضًا الشرطة بضباطهم وجنودهم بإمكانهم أن يكونوا ولاةً عادلين ، فهناك والي على بلد ، وآخر والي على مركز ، وهناك والي على قسم ، ووالي على محافظة .

كلُّ واحد في ولايته ينبغي أن يعدل ، وأن يرحم ، و«الراحمون يرحمهم الرحمن»[3].

---

(١) رواه الدارقطني (٤٤٧١) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩) بلفظ : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » عن ابن عباس . وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : إسناده حسن ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٨٩) .

(٣) رواه أحمد (٦٤٩٤) وقال مخرجوه : صحيح لغيره ، وأبو داود في الأدب (٤٩٤١) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤) وقال : حسن صحيح ، والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤) وقال : بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب : وهذه الأحاديث كلها صحيحة ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٥) ، عن عبد الله ابن عمرو .

للجهاد مراتب وأنواع :

السؤال : تسأل إحدى الأخوات تقول : والله ، إن قلوبنا تتلهَّف للجهاد في البوسنة والهرسك،ولكننا أمهات وزوجات، أزواجنا وأولادنا نبذل كلَّ أوقاتنا لراحتهم ، فهل جهادنا معهم معذرةٌ لنا أمام الله سبحانه وتعالى؟ وكيف لنا أن نشارك في إمكانات النهوض على أكمل وجه؟ جزاكم الله خيرا .

الجواب : الجهاد مراتب وأنواع ، من فضل الله تبارك وتعالى ، أن هناك مَن يستطيع أن يجاهد بنفسه ، وهناك مَن يستطيع أن يجاهد بماله ، وهناك مَن يستطيع أن يجاهد بلسانه ، وهناك مَن يستطيع أن يجاهد حتى بالقلب ، «وذلك أضعف الإيمان»[1] .

ليس من السهل على الكثيرين أن يذهبوا إلى البوسنة والهرسك ، لأنه يوجد عقبات وعقبات ، في أول الأمر كانت الطريق مفتوحة قليلا ، لكنهم بدأوا يشدِّدون على العرب والمسلمين ، ولا يستطيع أن يذهب أحد إلا بحيلة ما ، حتى يدخل إلى هناك ، وليس كلُّ إنسان يصلح هناك ، فلو ذهبتُ أنا مثلا ومعي عكازي هذا ، هل أصلح؟ بالطبع لا ، وإنما

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩) ، وأحمد (١١١٥٠) ، وأبو داود في الصلاة (١١٤٠) ، والترمذي في الفتن (٢١٧٢) ، والنسائي في الإيمان (٥٠٠٨) ، وابن ماجه في الصلاة (١٢٧٥) ، عن أبي سعيد الخدري .

أكون حِملا ثقيلا عليهم ، لو أن إنسانا عنده خبرة في حرب العصابات ، أو آخر له خبرة في المتفجرات ، وهذه الأمور التي يستطيع أن ينفع بها ، فهذا يصحُّ له الذهاب .

والذي لا يستطيع أن يصل ، بمعنى أنه لا تمكِّنه ظروفه ، أو ليس عنده قدرات تنفع الإخوة هناك ، يجاهد بماله ، القرآن يقول : ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:٤١) ، قدَّم الجهاد بالأموال دائمًا على الجهاد بالأنفس ، والحديث الصحيح يقول : « مَن جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا »[1] ، فلو جئتَه بما يمكِّنه من شراء المدفع والبندقية ، كنتَ كأنك جاهدتَ معه ، فمشكلة إخواننا مشكلة مالية من الدرجة الأولى ، لأنهم في حاجة إلى المال لإغاثة لهفتهم ، في حاجة إلى المال ليأكلوا ويشربوا ويلبسوا ويتدفَّأوا ويتداووا ، وفي حاجة إلى المال ليتسلَّحوا .

لو أننا من أول الأمر أمددناهم ببعض الأموال ، بقليل من الأموال ليشتروا بها السلاح ، لأمكنهم أن ينتصروا بسرعة ، ولكن لم نسعفهم ، كانوا يحاربون الجيش الرابع في أوربا ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣) ، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥) ، كما رواه أحمد (٢١٦٨١) ، وأبو داود في الجهاد (٢٥٠٩) ، والترمذي في الجهاد (١٦٢٨) ، والنسائي في الصغرى (٣١٨٠) ، عن زيد بن خالد الجهني .

الجيش اليوغوسلافي الذي فيه كلُّ الإمكانات ، وهم ليس عندهم شيء يُذكر ، كانوا في حاجة إلى المال ، لكن الأمم المتحدة وأمينها الهمام منعوهم من الأسلحة ، قالوا : لا تُبعث الأسلحة إلى جهات متحاربة . مع أن الجيش الآخر عنده الأسلحة ، فمنع الأسلحة يعني أنكم تتركون هؤلاء ليُذبحوا ، ولذلك المنفذ الوحيد هو شراء السلاح من السوق السوداء ، وهذا ممكن ، فعندنا مثل في مصر يقول : بالفلوس على أحسن شيء تدوس . تشتري من السوق السوداء السلاح ، ويأتيك في أيِّ مكان ، تجّار السلاح معروفين في العالم ، تسعى للفلوس .

لما وصلت للإخوة بعض الأسلحة صمدوا ، كان الصربيين يخططون أن تسقط سراييفوا بعد ثلاثة أسابيع ، فصمدت الآن إحدى عشر شهرا . فهم بحاجة إلى المال ، فمَن لم يستطع أن يجاهد بنفسه يجاهد بماله ، والحمد لله ، الذي أراه أن المسلمين كشعوب متجاوبون جدًّا مع إخوانهم ، وقد كنتُ في فرنسا فقال لي بعض الإخوة : جاءنا مسلمون من أقاصي فرنسا ، جمعوا ممَّن حولهم تبرُّعات نقديَّة وعينية وجاءوا يسلِّمونها ، وقالوا لهم : نحن لم ندخل المسجد في حياتنا ، ولم نصلِّ لله ركعة ، ونريد أن نتعلَّم الإسلام من جديد ، والذي حرَّكنا هو ما رأيناه في التلفاز .

والحقيقة إن بعض التلفزيونات الغربية تأتي بمشاهد لا تأتي بها التلفزيونات العربية ، يأتون بأشياء فظيعة ، تقشعر من هولها الأبدان ، وتشيب لها الولدان ، وهو الذي جعلنا نتحرَّك ، الآن ما دام الإسلام يُضطهد ، نريد أن نكون مسلمين ، فماذا نفعل؟! حرَّكت المأساة هؤلاء الناس ، فمَن لم يستطع أن يجاهد بنفسه جاهد بماله .

لكن للأسف المستوى الرسمي ليس على المستوى المطلوب ، حتى إنك تجد الرئيس من هؤلاء يتجاوب معك فرديًّا ويدفع ويبذل ، لكنهم إذا اجتمعوا مع بعضهم لا يصدر عنهم قرار نافع ، وقد اجتمع وزراء الخارجية الإسلامية في جِدة ، ونظروا في قضية البوسنة ، ثم أصدروا بعض التوصيات والقرارات ، وأمهلوا الموضوع إلى الخامس عشر من يناير ، ولا أدري لماذا أخَّروه إلى الخامس عشر من يناير ، والقضية ساخنة وعاجلة ، وماذا بعد؟! جاء الخامس عشر من يناير ، ومضى يناير كلُّه ، ومضى الخامس عشر من فبراير ، ويكاد فبراير ينتهي ولم نصنع شيئا . ما تحرّكت الدنيا ولا قامت ولا قعدت ، المستوى الرسمي هو المؤسف ، إنما الشعوب والحمد لله تتجاوب ، فمَن لم يستطع أن يجاهد بنفسه ، فليجاهد بماله ، مَن لم يستطع أن يجاهد بماله فليجاهد بلسانه ، يدعو لهؤلاء الإخوة ، يدعو الله لهم ، يوعِّي إخوانه

بقضيَّتهم ، يعيش ألمهم ، ويحزن لهم ، فحزن القلب هذا الذي قال النبي ﷺ : « مَن رأى منكم منكرا فليغيرِّه بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1].

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يخرجهم من محنتهم ، وأن ينصرنا وينصر المسلمين نصرًا عزيزا .

السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية بعد تشويهها :

السؤال : من صور التحدِّي في المجتمع الإسلامي ، تصوير الإعلام الغربي للإنسان المسلم بالمتطرِّف والأصولي ، وغيرها من الأسماء ، مما ترك الأثر السلبي في عقلية المسلم العادي ، السؤال : كيف السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية ؟

الجواب : لا بدَّ والله ، أن نبذل جهدًا في داخل بلادنا نفسها ، حتى تتحسَّن صورة المسلمين ، يعني الآن هناك حملات شرسة لتصوير الإسلاميين بأنهم وحوش ، وكان الغرب قديمًا يقول : احذروا الإسلام المتطرِّف ، احذروا المسلمين المتطرِّفين المتشدِّدين . تعرفون ماذا يقولون اليوم؟ احذروا الإسلام المعتدل ، احذروا الإسلاميين المعتدلين ، هؤلاء أشدُّ

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩) ، وأحمد (١١٤٦٠) ، وأبو داود في الصلاة (١١٤٠) ، والترمذي في الفتن (٢١٧٢) ، والنسائي في الإيمان (٥٠٠٨) وابن ماجه في الصلاة (١٢٧٥) ، عن أبي سعيد الخدري .

خطـرًا ، وأبعـد أثـرًا ، المتطرِّفـون قصـار العمـر ، لـن يطـول أمدهم ، إنما ينبع الخطر من هـؤلاء المعتـدلين ، فهـؤلاء هـم جذورهم غائرة في الأرض ، هؤلاء عمرهم طويل .

ولذلك تجد بعض الـبلاد الآن بـدأت تحـارب المعتـدلين ، دعاة الاعتدال ، لماذا يحارَب بالله عليكم مَن ينتخبـه الشـعب؟ إذا الشعب انتخب هذا لمجلس النـوَّاب وأخـذ أغلبيـة ، ألسـتم دعاة الديموقراطية؟ دعوا صناديق الانتخابات تحكـم ، لا ، إذا وصلت إلى هذا يقطع الطريق عليـك ، إذا انتخبـك أصـحابك في نقابة من النقابات ، ووصلت إلى هذا ، يغلق الباب دونك ، إذا كنتَ إسلاميًّا! يقولون هناك جماعة منظَّمة هي التي تعمـل تقوم بهذا . الطريق مقطوع عليك .

لكي نقـف نقنـع الإعـلام الغربـي ، نريـد أن نقنـع الإعـلام العربـي والإسـلامي ، نقـول لهـم : اتقـوا الله ، لأن تصـوير الأصـولية بهـذه الصـورة هـذا تصـوير ظـالم . لـي أرجـوزه ، أعددتُها وألقيتُها في قطر عن الأصوليين ، علـى لسـان أجهـزة الإعلام الجائرة ، هي طويلة ، حوالي مائتي بيت ، على طريقة الرَجَز ، أقول لكم بعض أبياتها الساخرة :

أولـــئكم هـــم الأصـــوليون قد خربوا الدنيا وشانوا الـــدين
فجندوا لحربـــهم كل القـــوى فما لهم غير الفنـــاء مـــن دوا
فكل يـــوم يكســـبون أرضـــا تمتـــد طـــولاً بيننـــا وعرضـــا

حتى غزوا ساحة أهـل الفـن وأفسـدوا المخـرج والمغـنى
ومن عجيب ما نرى ونسـمع توبة أهل الفن هـذا المفجـع
ممـثلاتٌ ترتـدي الحجـاب أليس ذاك العجـب العجـاب
وراقصـات يعتـزلن الـرقص كأن هذا الرقص صـار نقصـا
من ذا يعيـب الهـز للبطـون وذاك مـن روائـع الفنـون
أليس مـن ميراثنـا الثقـافي رياضـة البطـون والأرداف

إلى آخره . لا بد أن نقوم بعمل مضاد .

نشكو إلى الله من هذا الذي يحدث ، فهو ظلم ، مع إنه لا نجاة لهذه الأمة ـ والله ـ ولا سعادة لها ، ولا حياة لها ، ولا وحدة ، ولا قوة إلا بالرجوع إلى الإسلام . لماذا لا نتيح للإسلاميين كما أُتيح لغيرهم ، حكمتنا الاشتراكية الثورية ، وحكمتنا الرأسمالية الغربية ، اتركوا الإسلام يحكم ، خليهم يجربوا ، لعلهم يفشلون وتستريحون منهم . فلماذا يقطع الطريق على الإسلاميين وحدهم ؟ هذا ظلم ، فنسأل الله العافية .

دور المعلم إزاء هذه التحديات :

السؤال : أسمعنا فضيلة الدكتور القرضاوي شيئًا من شعره ، وبالمناسبة كانت هناك ورقة حقيقة من إحدى الأخوات تطلب : هل يمكن أن تسمعنا يا دكتور آخر قصائدك ؟ وأعتقد مدرِّسة ، وتسأل السؤال : ما دوري كمدرسة إزاء هذه التحديات ؟

الجواب : يكفي هذا الشعر لأننا أطلنا .

أما المعلم والمعلمة فهما في الواقع يقومان بأعظم دور ، فالرسول ﷺ يقول : « إن الله بعثني معلِّمًا ميسِّرا »[1] ، ومن مهمَّات النبوة التعليم : ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (الجمعة:٢)، ومن هنا كان دور المعلم والمعلمة دورًا ذا أهمية ، في التثقيف والتوجيه ، وفي التربية والتزكية ، والتزكية ليست بالتلقين ، بل بالقدوة الحسنة .

نحن نواجه مفاهيم خاطئة ، ونحن في حاجة لأن نصحح هذه المفاهيم ، نحن نواجه هجمة وغزوة فكرية وأخلاقية وسلوكية ، في حاجة إلى أن نربِّي أبنائنا وبناتنا على قِيَم الإسلام وأخلاقيات الإسلام ، ولذلك مهمَّة المعلِّم ومهمَّة المعلِّمة ، والمعلِّمة بالذات ، لأن المرأة نصف المجتمع ، من ناحية العدد ، وأكثر من النصف من ناحية التأثير ، لأنها تؤثِّر أيضًا في زوجها ، وتؤثِّر في أبنائها ، ولذلك عليها مهمَّة عظيمة ، إذا كانت معلمة كان عليها مهمَّة في المدرسة ، تقود هذا الجيل الجديد نحو الإسلام الصحيح ، وأن تحبِّب إليه الدين ، وأن تحبِّب إليه الإيمان وتحبِّب إليه الأخلاق ، وتحبِّب إليه الالتزام ، خصوصًا إذا كانت هي نموذجًا ، وكانت أسوة ، تعلِّم بالقدوة وبالأخلاق ، قبل أن تعلِّم بالكلام ، لسان الحال أبلغ من لسان المقام .

---

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد في (١٤٥٥٥) ، عن جابر .

فعلى الأخت أن تؤكِّد هذا في سلوكها ، وتتعبَّد لله سبحانه وتعالى بتربية جيل من المسلمات الصادقات الصالحات إن شاء الله .

تحري ليلة القدر :

السؤال : كان رسول الله ﷺ يتحرَّى ليلة القدر ، ويأمر أصحابه بتحرِّيها ، وكان يوقظ أهله في الليال العشر ، رجاء أن يدركوا ليلة القدر ، فكيف يعرف المرء ليلة القدر بمفرده؟ وشكرًا .

الجواب : ليلة القدر غير معروفة تمامًا ، وهي كما جاء في الحديث : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان »[1] ، وبعض الأحاديث : « تحرُّوها في السبع الأواخر »[2]، وبعضها : « في الأوتار »[3] ، يعني الليالي الوترية ، ولكن حتى الليالي

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٦) ، ومسلم في الصيام (١١٦٧) ، كما رواه أحمد (١١٥٨٠) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٨٢) ، والنسائي في السهو (١٣٥٦) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٥) ، ومسلم في الصيام (١١٦٥) ، عن ابن عمر .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٥) ، ومسلم في الصيام (١١٦٥) ، عن ابن عمر بلفظ : « أرى رؤياكم في العشر الأواخر ، فاطلبوها في الوتر منها ».

الوترية هذه تختلف ، لأننا بدأنا يوم الاثنين ، ولكن هناك بلاد بدأت يوم الثلاثاء ، فهل يا ترى ستكون ليلة القدر في وتر مَن؟ الله أعلم .

ولذلك فالأولى بالمسلم أن يحيي رمضان كلَّه ، ويكثر من النشاط أكثر في العشر الأواخر كما كان النبي ﷺ ، إذا دخل العشر ، أحيا ليله ـ أي كلَّه ـ وشدَّ مئزره ، وأيقظ أهله[1] . أيقظ زوجاته يشاركنه هذا الخير ، لأن ليلة القدر خير من ألف شهر ، يعني ليلة أفضل من ثلاثين ألف ليلة ، تصور قدر المضاعفة ، الناس الآن إذا قيل هناك تنزيلات وتخفيضات من عشرين إلى خمسين أو ستين في المائة ـ وأحيانًا يكون هذا غير صحيح ـ تجد الناس تذهب لشراء ما لا حاجة لهم به ، لأن هناك تنزيلات . يا أخي هذا أوكازيون رباني ، والزيادة ليست عشرين في المائة ولا مائة في المائة ، ولا مائتين في المائة ولا ألف في المائة ، إنما ثلاثين ألف ضعف ، ليلة تضاعف ثلاثين ألف مرَّة ، مَن الأحمق الذي يضيِّع هذا؟

ولذلك قال النبي ﷺ في أول شهر رمضان : « أتاكم رمضان شهر مبارك ، فرض الله عزَّ وجلَّ عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغلُّ فيه مردة

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠٢٤) ، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٤) ، عن عائشة .

الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، مَن حُرم خيرها فقد حُرم»[1] .

وقد جاء في الصحيح : «مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[2] ، وهذا ما جعلني أقول أيها الإخوة في بداية محاضرتي : أن نحتسب وجودنا هنا وجلوسنا هنا قيامًا ، إحياء لهذه الليلة ، فبدلا من أن نضيِّع وقتنا أمام شاشات التلفاز ، أو مع الأصدقاء في الكلام عن فلان وعلان ، جلسنا في جلسة علم ، والعلم ذكر ، نحن نذكر الله عزَّ وجلَّ ، فنحن الآن إن شاء الله إذا صحَّت نياتنا في إحياء هذه الليلة ، ولعلَّها ليلة القدر ، مَن يدري؟

الله أخفى عنا ليلة القدر كما أخفى عنا آخر العمر ، فلم يعلمنا متى نموت؟ كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، كما أخفى اسمه الأعظم ضمن الأسماء الحسنى ، لماذا؟ لنحيي رمضان كلَّه ، ونزيد نشاطًا في العشر الأواخر ، لأننا لو عرفنا أيَّ ليلة هي ليلة القدر ، لظللنا نائمين حتى تلك الليلة ،

---

(١) رواه أحمد (٧١٤٨) وقال مخرجوه : صحيح ورجاله رجال الشيخين ، والنسائي في الصيام (٢١٠٦) ، عن أبي هريرة وصححه الألباني .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الصوم (١٩٠١) ، ومسلم في صلاة المسافر (٧٦٠) ، كما رواه أحمد (٧٢٧٨) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٧٢) ، والنسائي في الصيام (٢٢٠٦) ، عن أبي هريرة .

ولا نقوم في غيرها!! وليلة بثلاثين ألف ليلة ، ليست هينة ، انشط قليلا ، وصلِّ صلاة خاشعة ، وابحث عن مسجد مطمئن ، وخصوصًا في العشر الأواخر .

شهدنا في الصغر ، كان بعض الناس يصلِّي التراويح ، بعشرين ركعة ، يقرأ في كلِّ ركعة أول آية من أول ربع من سورة البقرة ، لكي يضبط العدد ، إنما قد تكون الآية طويلة ، فيقطع منها جزءا ، فعلى سبيل المثال آية : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة:٦٠)، طويلة فيقرأ : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾، الله أكبر ، فقط ، ويقرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ (البقرة:٢٦) ، ولا يكمل الآية .

الذي يريد ليلة هي خير من ألف شهر لا بدَّ أن يُتعب نفسه قليلا ، ووالله إنه سيفوز بخير كثير ، يكفي أنه سيكسب المغفرة ، أن يُغفر له ما تقدَّم من ذنبه ، ويكسب الحسنات المضاعفة .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا إلى إحياء هذه الليلة ، وأن يجعلنا ممَّن صام هذا الشهر وقامه إيمانًا واحتسابا ، فغفر له ما تقدَّم من ذنبه .

الإعلام الأوربى والقِيَم :

السؤال : في الحقيقة هناك سؤال يحتاج إلى التعليق ، أحد الأخوة يسأل عن تركيب المحطات الهوائية التي تسمح بالنقل من شرق آسيا وأوربا في المحطات التلفزيونية ؟ ويقول : لا يستطيع أي شخص في البيت أن يمنع ابنه أو أبناءه عن مشاهدة أيِّ فيلم في التلفاز! فهل وجود التلفزيون المليء بالمحطات المتعدِّدة (الدش) حلال أم حرام ؟ وكيف ؟

الجواب : حقيقة أنا أرى بتحريم ما يسمُّونه (الدش) هذا ، لأنه باب فساد كبير .

وعندنا في الشريعة شيء اسمه (سدُّ الذرائع) ، بمعنى أن الشيء الذي يوصِّل إلى الفساد ، إن كان هو في ذاته حلالاً في الأصل ـ لأنه هو أصل الأشياء ـ لكنه يجرُّ إلى فساد فهو حرام ، الأدوات هذه بحسب ما تُستخدم له ، يعني إذا سألتني الإذاعة حلال أم حرام ، أو التلفاز ؟ لا أستطيع أن أقول : حلال أو حرام . حتى أعلم فيم يُستخدم ، السيف حلال أم حرام ؟ البندقية حلال أم حرام ؟ فالبندقية مثلا في يد المجاهد هي أداة عبادة ، وفي يد قاطع الطريق أداة إجرام وإفساد ، فلذلك لا نستطيع أن نحكم على شيء من هذه الأشياء إلا بعد معرفة فيم يستخدم !

ألا يكفينا ما نعانيه من الإعلام في بلادنا حتى نضيف إليه الإعلام الآخر ، الذي يأتينا بالفضائح . والسؤال : لماذا نريد هذه الأشياء؟ فإن كان من أجل الأخبار ، فتستطيع سماع الأخبار عن طريق (سي إن إن) وغيرها ، بينما هذه المحطات تأتي بكل شيء ، لا تبالي .

وأنا في الحقيقة شاهدتُ بعض هذا ، كنتُ في ألمانيا وفتحت التلفاز فوجدتُ مناظر لا يمكن أن يتحمَّلها الإنسان ، ونحن في مؤتمر البوسنة والهرسك وجدنا الأوربيين لا يستحون من شيء ، وقد قال لي أحد الشباب : إن أباه أتى بهذا في البيت ويجلس يشاهد . فهذا رجل كبير ومع ذلك يتفرَّج على مثل هذه الأمور ، أما تخاف على امرأتك ، على ابنتك ، على ابنك ، هذه الأشياء قد تدمرهم ، فلماذا نفتح باب الشرِّ على أنفسنا ؟

هناك مثل مصري يقول : (الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح) . ولذلك أنا أفتي بتحريم هذه الأشياء ، ولا ينبغي أن نتساهل فيها ، لكن ينبغي أن نطوِّر إعلامنا ، نريد إعلامًا قويًا ، فبعضهم يقول لي : لكي أرى الخبر كما ينبغي فإني أراه في القنوات الأوربية ، لأن عندنا قضايا عليها تعتيم إعلامي ، وقضايا يأتيك منها بجزء ويخفي جزء ،

أما هؤلاء فيتتبَّعون الخبر ويأتون به من مصادره الأصلية ، ويرسل مراسل ، ويتواصل بالهاتف ، ويأتيك بالأخبار على حقيقتها في كثيرٍ من الأحيان .

نحن في حاجة إلى أن نطوِّر برامجنا الإخبارية ، وبرامجنا التوجيهية ، والتثقيفية ، وبرامجنا حتى الترفيهية ، نريد إعلامًا يخدم الأمة حقيقةً ، ليحصِّن الناس من هذا الإعلام الغازي . فهو غزو خطير ، ويجب على دولنا العربية والإسلامية ، وعلى المسؤولين عن الأجهزة التلفزيونية ، وعن الإعلام ووزراء الإعلام بصفة عامة ، عليهم أن يتقوا الله في هذه الأمة ، ويحاولوا الوقوف أمام هذه الموجة الغازية العاتية المدمِّرة ، وإلا فلا يعلم إلا الله وحده ماذا تكون عواقب هذا الأمر ، وإلى الله المشتكى ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

أيها الأحبة ، الأسئلة لن تنتهي لذلك نُبقي بعضها للقاء آخر . كنتُ دائما أقول للإخوة : حيثما أذهب إلى أيِّ بلد أجد تلالاً من الأسئلة ، وأجيب عن بعضها ، وكلُّ شيخ له طريقة ، وطريقتي أني أحب شرح الإجابة وتوضيحها . يوجد من العلماء مَن يجيب بحلال أو حرام . يقول : حرام وفقط . لكن حرام لماذا؟ وما الدليل على ذلك؟ وما الحكمة فيه؟ أحبُّ في إجاباتي توضيح هذه الأمور ، فقد خُلقت أريد البيان والإفهام ،

فلا بد أن أتحدَّث عن الموضوع بحيث يفهم ويقنع ، فأحيانًا تطول إجاباتي ، ولذلك لا أستطيع أن أجيب عن جميع الأسئلة .

فأنا أقول دائمًا للإخوة : إذا كنتم تريدون أن لا أعود مرَّة أخرى سأبقى إلى أن أجيب عن الأسئلة كلِّها ، إنما إذا أردتم أن أعود إليكم مرَّة أخرى فلا بد أن نُبقي بعض الأسئلة لتكون حجة للعودة . أقول : جئتكم لأكمل باقي الأسئلة .

فإذا كنتم تحبون أن أرجع مرَّة ثانية ـ أم أنها المرة الأخيرة؟ ـ فاتركوا عدَّة أسئلة للمرَّة القادمة .

الدعاء :

هناك طلب بالدعاء في الختام ، عسى أن تكون هذه الليلة أن تصادف ليلة القدر فيستجاب لنا إن شاء الله .

إني داع فأمنوا : اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ، اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا ، اللهم ما قصَّرنا فيه فاغفره لنا ، اللهم اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقي ، اللهم اجعلنا ممَّن صام هذا الشهر وقامه إيمانًا واحتسابًا فغفر له ما تقدَّم من ذنبه ، اللهم اجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها ، وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاك .

obeikandl.com

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، اللهم أعنَّا على شهوات أنفسنا ، وأصلح فساد قلوبنا ، اللهم طهِّر أقوالنا من اللغو ، وطهِّر أعمالنا من العبث ، وطهِّر أنفسنا من الضعف ، وطهِّر قلوبنا من الغشِّ ، وطهِّر ألسنتنا من الكذب ، وطهِّر أعيننا من الخيانة ، وطهِّر أعمالنا من الرياء .

اللهم كُن لنا ولا تكن علينا ، وأعنَّا ولا تُعِن علينا ، اللهم أكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تُؤثِر علينا ، وارضَ عنا وأرضنا .

اللهم افتح لنا فتحًا مبينا ، واهدنا صراطًا مستقيما ، وانصرنا نصراً عزيزا ، وأتمَّ علينا نعمتك ، وأنزل في قلوبنا سكينتك ، وانشر علينا فضلك ورحمتك .

اللهم انصر إخواننا في فلسطين ، اللهم انصر إخواننا في لبنان ، اللهم انصر إخواننا في البوسنة والهرسك ، اللهم انصر إخواننا في جامو وكشمير ، اللهم انصر إخواننا في الفلبين ، اللهم انصر إخواننا في أريتيريا ، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كلِّ مكان ، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين

حيث ما كانوا ، اللهم فكَّ أسرى المأسورين ، اللهم فكَّ أسرى المعتقلين ، اللهم افكك بقوتك أسرهم ، واجبر برحمتك كسرهم ، وتولَّ بعنايتك أمرهم .

اللهم احرس المستضعفين من المسلمين بعينك التي لا تنام ، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، اللهم عليك باليهود ، اللهم عليك بالصربيين ، اللهم عليك بالهندوس ، اللهم عليك بالشيوعيين ، اللهم عليك بالعلمانيين واللادينيين ، اللهم عليك بالجبابرة الظالمين ، اللهم عليك بالجبابرة الظالمين ، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الإسلام .

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم ، اللهم ردَّ عنا كيدهم ، وفلَّ حدَّهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

اللهم إنا نسألك في شهرنا هذا ، وفي ليلتنا هذه أن تجعلنا من عتقائك من النار ومن المقبولين ، اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عنا ، اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عنا ، اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عنا .

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته ، ولا عيبًا إلا سترته ، ولا مريضًا إلا شفيته ، ولا مبتلى إلا عافيته ، ولا ضالاً إلا هديته ، ولا مشرَّدًا إلا آويته ، ولا مظلومًا إلا نصرته ،

ولا ظالمًا إلا قصمته ، ولا ميتًا إلا رحمته ، ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها صلاح ولك فيها رضًا إلا قضيتها ويسَّرتها يا أرحم الراحمين .

اللهم نوِّر على أهل القبور من المسلمين قبورهم ، الله اغفر لهم وارحمهم ، وعافهم واعف عنهم ، واغسلهم بالماء والثلج والبرد ، ونقِّهم من الخطايا كما ينقَّى الثوب الأبيض من الدنس ، واغفر لنا وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء .

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، اللهم آمين .

وصلَّ اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا .

والسلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المجتمع الإسلامي وإمكانات النهوض	٣
اهتمام الإسلام بالمجتمع	٥
مجتمع الدين والدنيا معا	٥
المجتمع الإسلامي مجتمع الإخاء	٧
المجتمع المسلم مجتمع مجاهد	٨
المسلم لا يعيش وحده	٩
المجتمع الإسلامي مترابط متضامن	١١
التحديات تفرض نفسها على العالم الإسلامي	١٣
كيف نجمع بين الدين والدنيا ؟	١٥
هم يصنعون الحضارة ونحن نستهلكها	١٥
بيننا وبين القوم مراحل	١٧
ما الذي يعجزنا ؟	٢٢
الإمكانات المادية للنهوض	٣٠
الأسئلة	٣٨
هل تسير الأمة من سيئ إلى أسوأ ؟!	٣٨
دور رجال الشرطة في النهضة	٤٢
للجهاد مراتب وأنواع	٤٥
السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية بعد تشويهها	٤٩
دور المعلم إزاء هذه التحديات	٥١
تحري ليلة القدر	٥٣
الإعلام الأوربى والقِيَم	٥٨
الفهرس	٦٤

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة ت ٢٤٨٢٧٨٥١

obeikandl.com